شَرح قصيدة أبي إسحاق الإلبيري

للشيخ

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

ملاحظة: أصل هذا الشرح دروس لفضيلة الشيخ؛ ألقاها في المسجد النبوي، ولم يراجعها الشيخ بعد الصف والتفريغ

ح ١٤٣٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مَنْظُومَةُ أَبِي إِسْحَاقَ الأَلْبِيرِيِّ رحمه الله

١- تَفُتُّ فُؤَادَكَ الأَيَّامُ فَتًّا ... وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتَا

٢- وَتَدْعُوكَ المَنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ ... أَلَا يَا صَاحِ أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا

٣- أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ خِدْرٍ ... أَبَتَّ طَلَاقَهَا الأَكْيَاسُ بَتَّا

٤- تَنَامُ الدَّهْرَ وَيْحَكَ فِي غَطِيطٍ ... بِهَا حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَبَهْتَا

٥- فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ وَحَتَّى ... مَتَى لَا تَرْعَوِي عَنْهَا وَحَتَّى

٦- «أَبَا بَكْرٍ» دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا ... إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ لَوْ عَقَلْتَا

٧- إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا ... مُطَاعًا إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا

٨- وَيَجْلُو مَا بِعَيْنِكَ مِنْ غِشَاهَا ... وَيَهْدِيكَ الطَّرِيقَ إِذَا ضَلَلْتَا

٩- وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا ... وَيَكْسُوكَ الجَمَالَ إِذَا عَرِيتَا

١٠- يَنَالُكَ نَفْعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا ... وَيَبْقَى ذِكْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا

١١- هُوَ العَضْبُ المُهَنَّدُ لَيْسَ يَنْبُو ... تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ أَرَدتَّا

١٢- وَكَنْزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِصًّا ... خَفِيفَ الحَمْلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنتَا

١٣- يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الإِنْفَاقِ مِنْهُ ... وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدتَّا

١٤- فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلْوَاهُ طَعْمًا ... لَآثَرْتَ التَّعَلُّمَ وَاجْتَهَدتَّا

١٥- وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْهُ هَوىً مُطَاعٌ ... وَلَا دُنْيَا بِزُخْرُفِهَا فُتِنْتَا

١٦- وَلَا أَهْـــاكَ عَنْـــهُ أَنِيـــقُ رَوْضٍ ... وَلَا خِـــدْرٌ بِزِينَتِهَـــا كَلِفْتَـــا
١٧- فَـــقُوتُ الـــرُّوْحِ أَرْوَاحُ المَعَـــانِي ... وَلَيْسَ بِـــأَنْ طَعِمْـــتَ وَلَا شَـــرِبْتَـــا
١٨- فَـوَاظِبْـــهُ وَخُـــذْ بِالجِـــدِّ فِيـــهِ ... فَـــإِنْ أَعْـطَـاكَـــهُ اللهُ انتَفَعْتَـــا
١٩- وَإِنْ أُعْطِيـــتَ فِيـــهِ طَوِيـــلَ بَـــاعٍ ... وَقَـالَ الـــنَّاسُ: إِنَّـكَ قَـدْ عَلِمْتَـا
٢٠- فَـــلَا تَـــأْمَـــنْ سُـــؤَالَ اللهِ عَنْـــهُ ... بِتَوْبِيخٍ : عَلِمْـتَ؛ فَهَـلْ عَمِلْتَـا ؟
٢١- فَـــرَأْسُ الـــعِلْمِ تَقْـوَى اللهِ حَقًّـا ... وَلَـــيْسَ بِـأَنْ يُقَـالَ : لَقَـدْ رَأَسْـتَا
٢٢- وَأَفْضَلُ ثَوْبِـكَ الإِحْسَـانُ لَكِـنْ ... نَـــرَى ثَـــوْبَ الإِسَـاءَةِ قَـدْ لَبِسْـتَا
٢٣- إِذَا مَـــا لَـــمْ يُفِـدْكَ العِلْـمُ خَـيْرًا ... فَـخَـــيْرٌ مِنْـهُ أَنْ لَـــوْ قَـدْ جَهِلْتَـا
٢٤- وَإِنْ أَلْـقَـــاكَ فَهْمُـكَ فِي مَهَـاوٍ ... فَـلَـيْـــتَكَ ثُـمَّ لَيْتَـكَ مَـا فَهِمْتَـا
٢٥- سَتَجْنِي مِـنْ ثِـمَارِ العَجْـزِ جَهْـلًا ... وَتَصْـــغُرُ فِي العُيُـــونِ إِذَا كَبِرْتَـــا
٢٦- وَتُـفْـقَدُ إِنْ جَهِلْـتَ وَأَنْـتَ بَـاقٍ ... وَتُـــوجَدُ إِنْ عَلِمْـتَ وَلَـوْ فُقِـدْتَا
٢٧- وَتَـذْكُـرُ قَـوْلَتِي لَـكَ بَعْـدَ حِـينٍ ... إِذَا حقًّـــا بِهَـــا يَوْمًـــا عَمِلْتَـــا
٢٨- وَإِنْ أَهْمَلْتَهَـا وَنَبَـذْتَ نُصْـحًا ... وَمِلْـــتَ إِلَى حُطَـامٍ قَـدْ جَمَعْتَـا
٢٩- فَسَـوْفَ تَعَـضُّ مِـنْ نَـدَمٍ عَلَيْهَـا ... وَمَـــا تُـــغْنِي النَّدَامَـــةُ إِنْ نَـدِمْتَا
٣٠- إِذَا أَبْصَـرْتَ صَحْبَـكَ فِي سَـمَاءٍ ... قَـدِ ارْتَفَعُـوا عَلَيْـكَ وَقَـدْ سَـفُلْتَا
٣١- فَـــرَاجِعْهَا وَدَعْ عَنْـكَ الهُـوَيْنَى ... فَـــمَا بِـالبُطْءِ تُـدْرِكُ مَـا طَلَبْتَـا
٣٢- وَلَا تَـخْـــتَلْ بِمَالِـكَ وَالْـهُ عَنْـهُ ... فَـلَـيْـــسَ المَـالُ إِلَّا مَـا عَلِمْتَـا
٣٣- وَلَـيْسَ لِجَاهِـلٍ فِي النَّـاسِ مُغْـنٍ ... وَلَـــوْ مُـــلْكُ العِـرَاقِ لَـهُ تَـأَتَّى
٣٤- سَـيَنْطِقُ عَنْـكَ عِلْمُـكَ فِي مَـلَاءٍ ... وَيُـــكْتَبُ عَنْـكَ يَوْمًـا إِنْ كَتَمْتَـا
٣٥- وَمَـــا يُغْنِيـــكَ تَشْـــيِيدُ المَبَـــانِي ... إِذَا بِـالـجَهْلِ نَفْسَـكَ قَـدْ هَـدَمْتَا

٣٦- جَعَلْتَ المَالَ فَوْقَ العِلْمِ جَهْلًا ... لَعَمْرُكَ فِي القَضِيَّةِ مَا عَدَلْتَا

٣٧- وَبَيْنَهُمَا بِنَصِّ الوَحْيِ بَوْنٌ ... سَتَعْلَمُهُ إِذَا «طه» قَرَأْتَا

٣٨- لَئِنْ رَفَعَ الغَنِيُّ لِوَاءَ مَالٍ ... لَأَنْتَ لِوَاءَ عِلْمِكَ قَدْ رَفَعْتَا

٣٩- لَئِنْ جَلَسَ الغَنِيُّ عَلَى الحَشَايَا ... لَأَنْتَ عَلَى الكَوَاكِبِ قَدْ جَلَسْتَا

٤٠- وَإِنْ رَكِبَ الجِيَادَ مُسَوَّمَاتٍ ... لَأَنْتَ مَنَاهِجَ التَّقْوَى رَكِبْتَا

٤١- وَمَهْمَا افْتَضَّ أَبْكَارَ الغَوَانِي ... فَكَمْ بِكْرٍ مِنَ الحِكَمِ افْتَضَضْتَا؟

٤٢- وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الإِقْتَارُ شَيْئًا ... إِذَا مَا أَنْتَ رَبَّكَ قَدْ عَرَفْتَا

٤٣- فَمَاذَا عِنْدَهُ لَكَ مِنْ جَمِيلٍ ... إِذَا بِفِنَاءِ طَاعَتِهِ أَنَخْتَا

٤٤- فَقَابِلْ بِالقَبُولِ لِنُصْحِ قَوْلِي ... فَإِنْ أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَقَدْ خَسِرْتَا

٤٥- وَإِنْ رَاعَيْتَهُ قَوْلًا وَفِعْلًا ... وَتَاجَرْتَ الإِلَهَ بِهِ رَبِحْتَا

٤٦- فَلَيْسَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ ... تَسُوؤُكَ حِقْبَةً وَتَسُرُّ وَقْتَا

٤٧- وَغَايَتُهَا إِذَا فَكَّرْتَ فِيهَا ... كَفَيْئِكَ أَوْ كَحُلْمِكَ إِذْ حَلَمْتَا

٤٨- سُجِنْتَ بِهَا وَأَنْتَ لَهَا مُحِبٌّ ... فَكَيْفَ تُحِبُّ مَا فِيهِ سُجِنْتَا

٤٩- وَتُطْعِمُكَ الطَّعَامَ وَعَنْ قَرِيبٍ ... سَتَطْعَمُ مِنْكَ مَا فِيهَا طَعِمْتَا

٥٠- وَتَعْرَى إِنْ لَبِسْتَ بِهَا ثِيَابًا ... وَتُكْسَى إِنْ مَلَابِسَهَا خَلَعْتَا

٥١- وَتَشْهَدُ كُلَّ يَوْمٍ دَفْنَ خِلٍّ ... كَأَنَّكَ لَا تُرَادُ لِمَا شَهِدتَّا

٥٢- وَلَمْ تُخْلَقْ لِتَعْمُرَهَا وَلَكِنْ ... لِتَعْبُرَهَا فَجِدَّ لِمَا خُلِقْتَا

٥٣- وَإِنْ هُدِمَتْ فَزِدْهَا أَنْتَ هَدْمًا ... وَحَصِّنْ أَمْرَ دِينِكَ مَا اسْتَطَعْتَا

٥٤- وَلَا تَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَ مِنْهَا ... إِذَا مَا أَنْتَ فِي أُخْرَاكَ فُزْتَا

٥٥- فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مَا نِلْتَ مِنْهَا ... مِنَ الفَانِي إِذَا البَاقِي حُرِمْتَا

٥٦- وَلَا تَضْحَكْ مَعَ السُّفَهَاءِ يَوْمًا ... فَإِنَّكَ سَوْفَ تَبْكِي إِنْ ضَحِكْتَا

٥٧- وَمَنْ لَكَ بِالسُّرُورِ وَأَنْتَ رَهْنٌ ... وَمَا تَدْرِي أَتُفْدَى أَمْ غُلِلْتَا؟

٥٨- وَسَلْ مِنْ رَبِّكَ التَّوْفِيقَ فِيهَا ... وَأَخْلِصْ فِي السُّؤَالِ إِذَا سَأَلْتَا

٥٩- وَنَادِ إِذَا سَجَدْتَ لَهُ اعْتِرَافًا ... بِمَا نَادَاهُ ذُو النُّونِ ابْنُ مَتَّى

٦٠- وَلَازِمْ بَابَهُ قَرْعًا عَسَاهُ ... سَيَفْتَحُ بَابَهُ لَكَ إِنْ قَرَعْتَا

٦١- وَأَكْثِرْ ذِكْرَهُ فِي الأَرْضِ دَأْبًا ... لِتُذْكَرَ فِي السَّمَاءِ إِذَا ذَكَرْتَا

٦٢- وَلَا تَقْلِ الصِّبَا فِيهِ امْتِهَالٌ ... وَفَكِّرْ كَمْ صَغِيرٍ قَدْ دَفَنْتَا

٦٣- وَقُلْ: يَا نَاصِحِي بَلْ أَنْتَ أَوْلَى ... بِنُصْحِكَ لَوْ لِفِعْلِكَ قَدْ نَظَرْتَا

٦٤- تُقَطِّعُنِي عَلَى التَّفْرِيطِ لَوْمًا ... وَبِالتَّفْرِيطِ دَهْرَكَ قَدْ قَطَعْتَا

٦٥- وَفِي صِغَرِي تُخَوِّفُنِي المَنَايَا ... وَمَا تَدْرِي بِحَالِكَ حَيْثُ شِخْتَا

٦٦- وَكُنْتَ مَعَ الصِّبَا أَهْدَى سَبِيلًا ... فَمَا لَكَ بَعْدَ شَيْبِكَ قَدْ نَكَثْتَا

٦٧- وَهَا أَنَا لَمْ أَخُضْ بَحْرَ الخَطَايَا ... كَمَا قَدْ خُضْتَهُ حَتَّى غَرِقْتَا

٦٨- وَلَمْ أَشْرَبْ حُمَيَّا أُمِّ دَفْرٍ ... وَأَنْتَ شَرِبْتَهَا حَتَّى سَكِرْتَا

٦٩- وَلَمْ أَنْشَأْ بِعَصْرٍ فِيهِ نَفْعٌ ... وَأَنْتَ نَشَأْتَ فِيهِ وَمَا انْتَفَعْتَا

٧٠- وَلَمْ أَحْلُلْ بِوَادٍ فِيهِ ظُلْمٌ ... وَأَنْتَ حَلَلْتَ فِيهِ وَانْتَهَكْتَا

٧١- لَقَدْ صَاحَبْتَ أَعْلَامًا كِبَارًا ... وَلَمْ أَرَكَ اقْتَدَيْتَ بِمَنْ صَحِبْتَا

٧٢- وَنَادَاكَ الكِتَابُ فَلَمْ تُجِبْهُ ... وَنَبَّهَكَ المَشِيبُ فَمَا انْتَبَهْتَا

٧٣- وَيَقْبُحُ بِالفَتَى فِعْلُ التَّصَابِي ... وَأَقْبَحُ مِنْهُ شَيْخٌ قَدْ تَفَتَّى

٧٤- وَنَفْسَكَ ذُمَّ لَا تَذْمُمْ سِوَاهَا ... لِعَيْبٍ فَهْيَ أَجْدَرُ مَنْ ذَمَمْتَا

٧٥- وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّفْنِيدِ مِنِّي ... وَلَوْ كُنْتَ اللَّبِيبَ لَمَا نَطَقْتَا

٧٦- وَلَـوْ بَكَـتِ الـدِّمَا عَيْنَـاكَ خَوْفًـا ... لِـذَنْبِـكَ لَمْ أَقُـلْ لَـكَ قَـدْ أَمِنْتَـا

٧٧- وَمَـنْ لَـكَ بِالأَمَـانِ وَأَنْـتَ عَبْـدٌ ... أُمِـرْتَ فَـمَا ائْتَمَـرْتَ وَلَا أَطَعْتَـا

٧٨- ثَقُلْتَ مِنَ الذُّنُوبِ وَلَسْتَ تَخْشَى ... لِجَهْلِـكَ أَنْ تَخِـفَّ إِذَا وُزِنْتَـا

٧٩- وَتُشْفِقُ لِلْمُصِـرِّ عَـلَى المَعَـاصِي ... وَتَرْحَمُـهُ وَنَفْسَـكَ مَـا رَحِمْتَـا

٨٠- رَجَعْتَ القَهْقَرَى وَخَبَطْتَ عَشْوَا ... لَعَمْـرُكَ لَـوْ وَصَـلْتَ لَمَـا رَجَعْتَـا

٨١- وَلَـوْ وَافَـيْتَ رَبَّـكَ دُونَ ذَنْـبٍ ... وَنُـوقِـشْتَ الحِسَـابَ إِذاً هَلَكْتَـا

٨٢- وَلَـمْ يَـظْلِمْكَ فِي عَمَـلٍ وَلَكِـنْ ... عَـسِـيـرٌ أَنْ تَقُـومَ بِـمَا حَمَلْتَـا

٨٣- وَلَوْ قَدْ جِئْتَ يَـوْمَ الحَشْـرِ فَـرْدًا ... وَأَبْـصَـرْتَ المَنَـازِلَ فِيـهِ شَـتَّى

٨٤- لَأَعْظَمْـتَ النَّدَامَـةَ فِيـهِ لَهْفًـا ... عَـلَى مَـا فِي حَيَاتِـكَ قَـدْ أَضَـعْتَا

٨٥- تَـفِـرُّ مِـنَ الـهَجِيرِ وَتَتَّقِيـهِ ... فَـهَـلَّا مِـنْ جَهَـنَّمَ قَـدْ فَرَرْتَـا

٨٦- وَلَسْـتَ تُطِيـقُ أَهْوَنَهَـا عَـذَابًا ... وَلَـوْ كُـنْـتَ الحَدِيـدَ بِهَـا لَـذُبْتَا

٨٧- وَلَا تُنْكِـرْ فَـإِنَّ الأَمْـرَ جِـدٌّ ... وَلَـيْسَ كَـمَا حَسِـبْتَ وَلَا ظَنَنْتَـا

٨٨- «أَبَـا بَـكْـرٍ» كَشَفْتَ أَقَـلَّ عَيْبِـي ... وَأَكْـثَـرَهُ وَمُعْظَمَـهُ سَـتَرْتَا

٨٩- فَقُلْ: مَا شِئْتَ فِيَّ مِـنَ المَخَـازِي ... وَضَـاعِـفْـهَا فَإِنَّـكَ قَـدْ صَـدَقْتَا

٩٠- وَمَـهْـمَا عِبْتَنِـي فَلِفَـرْطِ عِلْمِـي ... بِـبَـاطِـنِـهِ كَأَنَّـكَ قَـدْ مَـدَحْتَا

٩١- فَـلَا تَـرْضَ المَعَايِـبَ فَهْـوَ عَـارٌ ... عَـظِـيمٌ يُـورِثُ المَحْبُـوبَ مَقْتَـا

٩٢- وَيَهْـوِي بِالوَجِيـهِ مِـنَ الثُّرَيَّـا ... وَيُـبْـدِلُـهُ مَكَـانَ الفَـوْقِ تَحْتَـا

٩٣- كَـمَا الطَّاعَاتُ تُبْـدِلُكَ الـدَّرَارِي ... وَتَـجْـعَلُكَ القَرِيـبَ وَإِنْ بَعُـدتَّا

٩٤- وَتَنْشُـرُ عَنْـكَ فِي الدُّنْيَـا جَمِيلًا ... وَتَلْقَـى الـبِرَّ فِيهَـا حَيْـثُ شِـئْتَا

٩٥- وَتَمْشِـي فِي مَنَاكِبِهَـا عَزِيـزًا ... وَتَـجْنِي الحَمْـدَ فِـيمَا قَـدْ غَرَسْـتَا

٩٦- وَأَنْتَ الآنَ لَمْ تُعْرَفْ بِعَيْبٍ ... وَلَا دَنَّسْتَ ثَوْبَكَ مُذْ نَشَأْتَا

٩٧- وَلَا سَابَقْتَ فِي مَيْدَانِ زُورٍ ... وَلَا أَوْضَعْتَ فِيهِ وَلَا خَبَبْتَا

٩٨- فَإِنْ لَمْ تَنْأَ عَنْهُ نَشِبْتَ فِيهِ ... وَمَنْ لَكَ بِالْخَلَاصِ إِذَا نَشِبْتَا

٩٩- تُدَنِّسُ مَا تَطَهَّرَ مِنْكَ حَتَّى ... كَأَنَّكَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا طَهُرْتَا

١٠٠- وَصِرْتَ أَسِيرَ ذَنْبِكَ فِي وَثَاقٍ ... وَكَيْفَ لَكَ الفِكَاكُ وَقَدْ أُسِرْتَا

١٠١- فَخَفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ وَاخْشَ مِنْهُم ... كَمَا تَخْشَى الضَّرَاغِمَ وَالسَّبَنْتَى

١٠٢- وَخَالِطْهُمْ وَزَايِلْهُمْ حِذَارًا ... وَكُنْ كَـ «السَّامِرِيِّ» إِذَا لُمِسْتَا

١٠٣- وَإِنْ جَهِلُوا عَلَيْكَ فَقُلْ: سَلَامٌ ... لَعَلَّكَ سَوْفَ تَسْلَمُ إِنْ فَعَلْتَا

١٠٤- وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي زَمَانٍ ... تَنَالُ العِصْمَ إِلَّا إِنْ عُصِمْتَا

١٠٥- وَلَا تَلْبَثْ بِحَيٍّ فِيهِ ضَيْمٌ ... يُمِيتُ القَلْبَ إِلَّا إِنْ كُبِلْتَا

١٠٦- وَغَرِّبْ فَالتَّغَرُّبُ فِيهِ خَيْرٌ ... وَشَرِّقْ إِنْ بِرِيقِكَ قَدْ شَرِقْتَا

١٠٧- فَلَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا خُمُولًا ... لَأَنْتَ بِهَا الأَمِيرُ إِذَا زَهِدتَّا

١٠٨- وَلَوْ فَوْقَ الأَمِيرِ تَكُونُ فِيهَا ... سُمُوًّا وَارْتِفَاعًا كُنْتَ أَنْتَا

١٠٩- فَإِنْ فَارَقْتَهَا وَخَرَجْتَ مِنْهَا ... إِلَى دَارِ السَّلَامِ فَقَدْ سَلِمْتَا

١١٠- وَإِنْ أَكْرَمْتَهَا وَنَظَرْتَ فِيهَا ... لِإِكْرَامٍ فَنَفْسَكَ قَدْ أَهَنْتَا

١١١- جَمَعْتُ لَكَ النَّصَائِحَ فَامْتَثِلْهَا ... حَيَاتَكَ فَهْيَ أَفْضَلُ مَا امْتَثَلْتَا

١١٢- وَطَوَّلْتُ العِتَابَ وَزِدتُّ فِيهِ ... لِأَنَّكَ فِي البَطَالَةِ قَدْ أَطَلْتَا

١١٣- وَلَا يَغْرُرْكَ تَقْصِيرِي وَسَهْوِي ... وَخُذْ بِوَصِيَّتِي لَكَ إِنْ رَشَدتَّا

١١٤- وَقَدْ أَرْدَفْتُهَا تِسْعًا حِسَانًا ... وَكَانَتْ قَبْلَ ذَا مِائَةً وَسِتَّا

١١٥- وَصَلِّ عَلَى تَمَامِ الرُّسْلِ رَبِّي ... وَعِتْرَتِهِ الكَرِيمَةِ مَا ذُكِرْتَا

- نعم- بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

هذه منظومة عظيمة مفيدة لأبي إسحاق الأَلْبِيرِيِّ، جامعة شاملة، مليئة بالحكم والمواعظ والنصائح، عدد أبياتها مائة وخمسة عشر بيتًا. وقد أكثرَ أهل العلم قديمًا من حفظها، ويجعلونها من ضمن محفوظاتِهم؛ لما فيها من ترقيق القلب، والزهد، وحفظ الوقت، والحرص على طلب العلم والتشجيع عليه. فكان العلماء من قبل يُحفظونها طلَّابهم؛ لترفع همتَهم إلى طلب العلم والتزود منه.

والناظم- رحمه الله- يقول لك في هذه الأبيات: يجب عليك أن تغتنم أوقاتك، وأن تحرص عليها، وأن لا يفوتَك منها شيء، واحذر الركون إلى الدنيا؛ فإنها قصيرة، والعقلاء لا يركنون إليها .

ويقول لك: إن مُضيّ الأيام والليالي تضعف جسدك، وقواك، فاغتنمها ما دمتَ في شبابك، وقد تُنزع منك الروح وأنت في الشباب؛ لذلك قال - رحمه الله-:

١- **تَفُتُّ فُؤَادَكَ الأَيَّامُ فَتًّا وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتَا**

«**تَفُتُّ فُؤَادَكَ**»، «**تَفُتّ**»: تُضعِف، والأصل في الفتّ: الكسر. وقال: «**تَفُتُّ فُؤَادَكَ**» ما قال جسمك؛ حتى يبين أن مرور الأيام والليالي لا تُضعِف فقط جسدك، بل حتى القلب وما ينبض فيه تُهلكه؛ فقال: «**تَفُتُّ فُؤَادَكَ الأَيَّامُ فَتًّا**» يعني كأنه يقول لك: الأيام تدكّ في جسدك دكًّا وأنت ما تشعر، وتُضعِفُهُ وتُكَسِّرُهُ .

«**وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتَا**»، «**السَّاعَات**»: الأيام، تنحته نحت، تشق من جسدك شقًا حتَّى تُضعِفه فتموت، فكأنه يقول لك: تدارك الوقت لأن كلَّ يوم يمضي فإنَّ جسمك ينعصر، ويَضعُف، ويتآكل .

ثُم بعد ذلك قال:

٢- **وَتَــدْعُوكَ المَنُــونُ دُعَــاءَ صِــدْقٍ أَلَــا يَــا صَــاحِ أَنْــتَ أُرِيــدُ أَنْتَــا**

«**وَتَدْعُوكَ المَنُون**» يعني: ملَك الموت... «**المَنُون**» يعني: الموت. «**وَتَدْعُوكَ المَنُون**» يعني: أنَّ الموت يدعوك في كلِّ ساعة وكلِّ لحظه .

«**وَتَدْعُوكَ المَنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ**» يعني: أمرٌ حقّ وواقع .

«**أَلَا يَا صَاحِ**»: هذا ترخيم؛ يعني ألا يا صاحبي. مثل: فاطمة تُرخَّم ويقال: فاطم. ومثل: يا ﴿ ابْنَ أُمَّ ﴾ ، مُرخمَّه. أصلها: يابن أمي .

فهنا قال: «**أَلَا يَا صَاحِ أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا**» يعني: ملَك الموت يقول أنا أريدُك أنت ما أريدُ غيرك، فكأن الموت قريب منك ومنطلق إليك، فيقول الموت أنا أريدُك أنت ما أريد غيرك. فالنَّاظم -رحمه الله- يقول: اغتنم وقتك فإن الموت منطلق إليك لم ينطلق إلى غيرك .

ثُم بعد ذلك قال: إن في هذه الدنيا أكياس، وعقلاء، لم يركنوا للدنيا؛ وإنما أقبلوا على تَعلُّم العلم والدار الآخرة؛ فقال معاتبًا لك:

٣- **أَرَاكَ تُحِــبُّ عِرْسًــا ذَاتَ خِــدْرٍ أَبَــتَّ طَلَاقَــهَا الأَكْيَــاسُ بَتَّــا**

«**أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ خِدْرٍ**» يعني: الدنيا. «**عِرْسًا**»: العروس. «**ذَاتَ خِدْرٍ**» يعني: المتخدِّرة، المتغطِّية؛ كالدنيا كأنها متغطِّية عنك، ما تُريدُك أصلًا .

أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ خِدْرٍ أَبَتَّ طَلَاقَهَا الأَكْيَاسُ بَتَّا

«أَبَتّ» يعني: قطعَها قطعًا. «الأَكْيَاس»: العقلاء. يعني: العقلاء أعرضوا عن هذه الخِدر الَّتي لا يرونها؛ لعيبٍ فيها، فكذلك الدنيا مثل تلك العروس المعرَض عنها لا يريدونها. فالعقلاء أعرضوا عن تلك المرأة المتخدِّرة لوجود عيبٍ فيها باطني فأعرضوا عنها؛ لذلك قال:

«أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ خِدْرٍ»: متخدِّرة، متغطِّية، متحجِّبة، لكن فيها عيوب داخلية.

«أَبَتَّ طَلَاقَهَا» أي: الطَّلاق المبتُوت بالثَّلاث. «أَبَتَّ طَلَاقَهَا الأَكْيَاسُ بَتَّا»: فهم أعرضوا عن تلك المرأة، وكذلك العقلاء. شبَّه الدنيا بتلك المرأة المطلَّقة، مثل ما قال عليّ بن أبي طالب: «أه! يا دنيا لقد طلَّقتُك ثلاثًا»[1].

فهنا يقول لك: أن العقلاء طلَّقوا الدنيا كما طلَّقوا تلك العروس المذمومة؛ بمعنى: أنهم أعرضوا عن الدنيا، وزهدوا فيها، وأقبلوا على الدار الآخرة .

-نعم- والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

---

(١) ذكره أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (ص ٨٥ ، ج ١) بقوله: « إليَّ تغرَّرت، إليَّ تشوَّفت، هيهات هيهات، غُرَّي غيري، قد بتتُّك ثلاثا، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير، آه آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق» .

- نعم- بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم-رحمه الله-:

٤- تَـنَامُ الـدَّهْرَ وَيْحَـكَ فِـي غَطِيطٍ بِهَـا حَتَّـى إِذَا مِـتَّ انْتَبَهْتَـا

يحثك الناظم -رحمه الله- إلى اغتنام أوقاتك وعدم إهدار شيءٍ منها. وأن الغافل كالنائم فلا يعلم متى يقع له إلا إذا استيقظ، وقد لا يستيقظ ذلك الرجل النائم إلا إذا هلك. كأنه يعاتبك يقول لك:

«تَنَامُ الدَّهْرَ وَيْحَكَ فِي غَطِيطٍ بِهَا»، «تَنَامُ الدَّهْر» يعني: عمرك. الدهر المراد: العمر.

«تَنَامُ الدَّهْرَ وَيْحَكَ»: عتاب، «فِي غَطِيطٍ بِهَا» يعني: سبات طويل وأنت نائم.

«حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَبَهْتَا»، مثل ما قال الله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢] . يعني: كأنه يقول: احذر، انتبه، واستيقظ، واطلب العلم، وأكثر من العبادة، قبل أن تموت.

«حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَبَهْتَا»، لكن انتباهك بعد الموت ما ينفعك، مثل ما قال الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ﴾ ما يمكن ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] .

ثم قال:

٥- فَكَـمْ ذَا أَنْـتَ مَخْـدُوعٌ وَحَتَّـى مَـتَى لَـا تَرْعَـوِي عَنْهَـا وَحَتَّـى

يعني: فكم ذا أنت مخدوعٌ بهذه الدنيا، وتتلهف نفسُك للشهوات، والملذات، والمتع، وتُعرض عن طلب العلم، وعن قيام الليل، وتلاوة القرآن، فأنت قد

خدعت في هذه الدنيا بإقبالك عليها. « **فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ وَحَتَّى**» تستمر على هذا، «**مَتَى لَا تَرْعَوِي**» وترجع عن غيِّك واتِّباع شهواتك؟ «**وَحَتَّى**»: إلى متى ؟! حتى إذا تموت ؟!

ثم بعد ذلك قال:

٦- «**أَبَا بَكْرٍ دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ لَوْ عَقَلْتَا**

هنا قال: « **أَبَا بَكْرٍ**»، الناظم - ﷺ- وضع شخصية وهمية، كأن الأب يحاور ابنه، وسمى ابنه أبا بكر، أو كأن الشيخ يحاور تلميذه وينصح تلميذه وسمى هذا التلميذ أبا بكر؛ لذلك يذكر الناظم - ﷺ- كلمة (أبا بكر) في أكثر من موطن، فكأنه ينصح التلميذ أو الأب ينصح ابنه، يقول:

«(**أَبَا بَكْرٍ**) **دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا**»، «**دَعَوْتُك**» إلى العلم وللتزود منه، «**لَوْ أَجَبْتَا**» لفزت .

«(**أَبَا بَكْرٍ**) **دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ**»، ونصيبُك، ورفعتُك، «**لَوْ عَقَلْتَا**»: لو عقلت أهمية العلم، وما دعوتُك إليه؛ لسارعت وبادرت إلى طلبه، وحفظ المتون .

- نعم- والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم- رحمه الله-:

٦- «أَبَا بَكْرٍ» دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ لَوْ عَقَلْتَا

لماذا يدعوك؟ إلى أي شيءٍ يدعوك؟ قال:

٧- إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا مُطَاعًا إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا

«**إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا مُطَاعا**»: يريد بذلك: أن يُشحذ همتَك إلى طلب العلم، ولا يكون قصد الشخص بذلك أن يتصدر في المجالس أو أن يطاع بأوامره ونواهيه؛ وإنما يريد أن يقول لك معنى الآية: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١] . أي كأنه يقول لك: في العلم رفعة ومكانة وشرف عظيم لك في الدنيا وفي الآخرة .

قال: «[**أدعوك**] **إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا مُطَاعًا**»: يُطيعك الناس بما تُفتيهم في كتاب الله وسنة رسوله - عليه الصَّلاة والسَّلام- .

«**إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا**»: إذا قلت لهم هذا محرم سمعوا لك؛ لأنك تخبرهم بميراث النبوة، وإن قلت لهم هذا واجب سمعوا لك؛ لأنك تخبرهم بما أتى به الوحي.

قال:

٧- وَيَجْلُو مَا بِعَيْنِكَ مِنْ غِشَاهَا وَيَهْدِيكَ الطَّرِيقَ إِذَا ضَلَلْتَا

«**وَيَجْلُو مَا بِعَيْنِكَ مِنْ غِشَاهَا**»: في الأمر الأول: لك مكانة عند الناس وشرف، الأمر الثاني: يُصلح من حالك .

«**وَيَجْلُو مَا بِعَيْنِك**»، «**يَجْلُو**»: ينظف. «**وَيَجْلُو مَا بِعَيْنِكَ مِنْ غِشَاهَا**» الغشاء: الأوساخ. يعني: تبصر الحق ليس بينك وبينه غبار، فكأنه ليس عليك غشاوة وإنما بصر ثاقب إلى النصوص.

«**وَيَهْدِيكَ الطَّرِيقَ إِذَا ضَلَلْتَا**»: يبين لك الطريق الحق، فما تعرف طريق الحق إلا بالعلم، ولا ترتفع إلى المنزلة العالية تصل إلى نور الله إلا بالعلم.

٨- **وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا وَيَكْسُوكَ الجَمَالَ إِذَا عَرِيتَا**

قال: «**وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا**» أي: أيضًا لك مكانة عظيمة إذا دخلت في مجتمع الناس.

«**وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ**»، النادي يعني: المكان؛ تجمع الناس، مثل ما قال الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [العلق:١٧]. النادي: المكان الذي يجتمع فيه الناس.

«**وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا**»: وأنت في مكان الناس تجلس، لا، أنت عليك حلية العلم، وتاج العلم.

«**وَيَكْسُوكَ الجَمَالَ إِذَا عَرِيتَا**»: فلو كانت ملابسك ممزقة، أو متسخة، أو ما عندك ثياب لفقر ونحو ذلك؛ فأنت مكسى بما هو أعظم من لباس الحرير، وما هو أعظم من أفخم اللباس، وهو: لباس العلم المزين بالتقوى؛ كما قال سبحانه: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٢٦].

-نعم- والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم -رحمه الله-:

٩- يَـنَالُكَ نَفْعُـهُ مَـا دُمْـتَ حَيًّـا وَيَـبْـقَى ذِكْـرُهُ لَـكَ إِنْ ذَهَبْتَـا

يعني: يذكر في هذا البيت مظهرًا شرف العلم، وأنه ينفعك في حياتك وينفعك بعد مماتك، في حياتك: تنتفع منه فتعبد الله كما أراد -سبحانه-، وتعلم الآخرين ما جاءت به الشريعة، وتنصح التائهين بما علمك الله -عزَّ وجلَّ- به من الوحي مما أخذته من الكتاب والسنة...وهكذا، فنفعُهُ ينالُك؛ ففي الدنيا تنال منه النفع العظيم بالأجور العظيمة المتتابعة؛ لذلك قال: «**يَنَالُكَ نَفْعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا**»، وإذا متّ: قال:

«**وَيَبْقَى ذِكْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا**» ، «**إِنْ ذَهَبْت**»: يعني إذا متّ، ذهبت من هذه الدنيا.

وانظر إلى حال العلماء السابقين كأنهم أحياء، تقول: قال الإمام البخاري، قال مسلم؛ كأن البخاري خلف العامود، ومسلم خلف هذا العامود، وشيخ الإسلام خلف ذاك العامود، وابن القيم...كأنهم أحياء معنا، ما الذي أحياهم؟ هل مالهم؟ لا، أولادهم؟ لا، شيخ الإسلام ما عنده أولاد، وماتت أُمّه وهو صغير، ولا عنده مال، ولا عنده بيت؛ يسكن في المسجد، ويدخل في السجن كم مرة، ما الذي أعلاه؟ العلم؛ لذلك قال: «**وَيَبْقَى ذِكْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا**».

١٠- هُـوَ العَضْـبُ المُهَنَّـدُ لَـيْسَ يَنْبُـو تُـصِيبُ بِـهِ مَقَاتِـلَ مَـنْ أَرَدتَّـا

ثم بعد ذلك -قال- يبين لك إن الذي معك شيء عظيم قوي؛ فقال: «**هُوَ العَضْبُ المُهَنَّدُ لَيْسَ يَنْبُو**» يعني: «**العَضْبُ المُهَنَّد**»؛ وهو السيف الصقيل القوي، «**لَيْسَ يَنْبُو**» يعني: لا يَضعُف، أو لا يتردد في قطع ما أرادَ قطعَه، بل

يقطعَه؛ ما ذهبتَ إليه، هذا حرام والدليل كذا؛ ينتهي، يجوز والدليل كذا؛ تنتهي المسألة، فمعك شيء قوي ونعمة كبيرة من الله -عزَّ وجلَّ- يجب أن تشكره عليها بالعمل بها .

فقال: «**هُوَ العَضْب**»، العضب يعني: السيف .

هُوَ العَضْبُ المُهَنَّدُ لَـيْسَ يَنْبُـو تُـصِيبُ بِـهِ مَقَاتِـلَ مَـنْ أَرَدتَّـا

المَقَاتِل يعني: الأعضاء التي فيها مَقْتَل. فكأنك بالسيف تقتل هذا الرجل مع مَقَاتِله؛ مع بطنه، مع أماكن الأعضاء التناسلية تقتله مباشرة، فالعلم يقتل أهل الباطل مباشرةً ويزهق أهل الباطل، والعلم يرفع أهل الحق، وكم نحن محتاجين إلى أهل العلم ليبينوا للناس أحكام الشريعة .

ثم بعد ذلك ذكر لك البيت الذي يليه وهو أشبه ما يكون باللغز يطرح على الناس، قال:

١١- **وَكَنْـزٌ لَـا تَخَـافُ عَلَيْـهِ لِصًّـا خَفِيـفَ الحَمْـلِ يُوجَـدُ حَيْـثُ كُنتَـا**

«**..كَنْزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِصًّا**» ؛ لأن العلم في عقلك، فاللص لا يستطيع أن يصل إلى ما في عقلك ويأخذَه! ولو استطاع أن يصل إلى رأسك ووصل إلى عقلك وفتحَه ما يستطيع! العلم ليس محسوس حتى يسرقَه؛ لذلك قال:

وَكَـنْـزٌ لَا تَخَـافُ عَلَيْـهِ لِصًّـا خَفِيـفَ الحَمْـلِ يُوجَـدُ حَيْـثُ

«**خَفِيفَ الحَمْل**» : أنت تحمل كنز كبير من العلوم والأحاديث والمتون ومع ذلك وأنت تسير ما فيه فرق بينك وبين الرجل الذي يسير جنبك، أنت تحمل كبير لكنه شيء معنوي، لكن هذا الشيء المعنوي محبوب عند الله -عزَّ وجلَّ- كثيرًا .

«**يُوجَدُ حَيْثُ كُنتَا**» : في المسجد موجود، في البيت موجود، في الشارع موجود، في غرفة النوم موجود، في المجلس موجود، في العمل موجود، أما صاحب المال لو تقول له: أعطني عشرة آلاف قرض. قال: ما عندي أروح البنك أعطيك -ما عندي-. ولو قلت لمزارع: أريد كيلو من التفاح. يقول: ما عندي أذهب للمزرعة وأعطيك. أما صاحب العلم في الليل في النهار، سفر حضر، ليل نهار ... معه كنزه، يجوز؟ تقول: يجوز هذه المسألة. ما هي الآية ؟ ثاني آية في القرآن : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة : ٣] ، معه الكنز دائمًا ليل... في كل الأحوال؛ لذلك قال : «**يُوجَدُ حَيْثُ كُنتَا**».

ولا يمكن يُتصوَّر أن شيء يوجد مع الإنسان في كل أحواله سوى العلم، المال ما يوجد، الأولاد ما يوجدون، وين ابنك؟ والله في البيت. العلم لا، وين؟ العلم في رأسي؛ لذلك أن جيل هذه الأمة في صدورها، والله يقول : ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ [العنكبوت:٤٩] .

فليفرح طالب العلم بالعلم، وليشرف به، وليستمر على طلب العلم، ويخلص النية فيه لله -عزَّ وجلَّ-، ويريد بذلك رفع الجهل عن نفسه، وتعليم الآخرين إذا الله أعطاه رسوخًا في العلم وقوةً فيه .

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

-نعم- بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم - رحمه الله -:

١٢- يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الإِنْفَاقِ مِنْهُ وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدتَّا

١٣- فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلْوَاهُ طَعْمًا لَآثَرْتَ التَّعَلُّمَ وَاجْتَهَدتَّا

قوله: «يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الإِنْفَاقِ مِنْهُ»: هذا من فضائل هذا العلم؛ أنك إذا بذلته يزيد، يعني: إذا علمته إلى الآخرين -بإذن الله- يُبارَك في هذا العلم؛ فهو كالروض إن نزل عليه الغيث وهو التعليم زاد .

ويزيد بسبب ببركة هذا الوحي، الله يقول: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [ص: ٢٩]، فما تأخذ منه ومعينُك هو النور. وهذا الشيء المبارك وهو كتاب الله وسنة النبي - عليه الصَّلاة والسَّلام-؛ لذلك يُبارِك الله فيه في العطاء، الله يقول: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ﴾ لا بد أن يمشي به ﴿فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فهكذا الضوء لا ينير إلا إذ جُعل في مساحة، أما لو جُعل الضوء في علبة ما أنار، لكن إذا أخرجته من العلبة أنارت؛ وهكذا العلم ينبغي للشخص أن يبثه عند أهله وجيرانه وأصحابه وأقاربه ونحو ذلك ممن يقدر عليه بالحكمة والتؤدة .

يقول :

يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الإِنْفَاقِ مِنْهُ وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدتَّا

يعني: ينقص إذا لم تعلمه غيرك، لذلك يكثر طلبة العلم في زمن التعلم، لكن يقلون في العطاء، لماذا؟ لأنهم لا يُعلِّمون، فإذا الشخص لا يُعلِّم الآخر ينسى العلم، و يتضاءل عنده العلم، ويقل عنده اهتمامه بالعلم وتعظيم العلم في قلبه .

والذي يبخل في تعليم العلم باتفاق أهل العلم بأنه أشد ذمًّا من البخيل في العطاء بالمال للفقراء، فالذي عند علم ويبخل به ولا يُعلِّمه أشد ذمًّا من البخيل في المال، والدليل قوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾-والعياذ بالله- ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟﴾ قال: ﴿وَبَيَّنُوا۟﴾ علَّموا ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠] .

لهذا إذا علَّم طالب العلم ارتفعت منزلته، ما علَّم تنخفض منزلته انخفاضًا عاليًا، بل عليه وعيد شديد؛ لهذا القاعدة في الإسلام: أن ما جاء فيه فضلٌ كبير كان في التفريط فيه عقوبة شديدة؛ ومن ذلك العلم، تُعلِّم: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ﴾ [المجادلة:١١]، تكتم: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾. فينبغي لطالب العلم أن يُعلِّم، بقدر ما يمكن يُعلِّم، ينصح، يَرشُد، الله يقول: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت: ٣٣] .

فلما قال لك علِّم لئلا تنسى علمك ولا تنتفع به، «**فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلْوَاهُ طَعْمًا**» : فلو ذقتَ حلا العلم وطعمه؛ من الإيمان، والعمل الصالح، ونفع الآخرين، واهتداء الآخرين بك؛ «**لَآثَرْتَ التَّعَلُّمَ وَاجْتَهَدتَّا**»: آثرت التعلم على الدنيا، واجتهدت في بث هذا العلم وتعليم الآخرين .

يعني كأنه يقول لك: يا طالب العلم! اجتهد في تحصيل العلم -وبإذن الله- سوف تجد لذة العلم، وإذا وجدت لذة العلم؛ سوف تجتهد في العطاء، والبذل، ونفع الآخرين. فينبغي لطالب العلم أن يسعى لذلك ولا يتوقف.